

## المشروع السوفياتي لجريد تخفيض التسليح في أوروبا:

### تحديد الأسلحة الاستراتيجية وتقليص فعلي لخطر الحرب النووية

التوازن بحيث يخفض بموجبه الطرفان حجم اسلحتهما الاستراتيجية باكثر من خمسة وعشرين في المئة ، كما عرض خفض عدد الصواريخ النووية السوفياتية في أوروبا الى ما يوازي عدد صواريخ كل من بريطانيا وفرنسا في هذه القارة .

ورغم ان هذا المشروع السلمي يأتي من موقع قوة وليس من موقع ضعف ، بالإضافة الى انه يأتي من موقع الحرص الجدي على ضرورة وقف سباق التسلح وترسيخ اسس جديدة للسلام على الصعيد العالمي ، فقد تضمن خطاب اندروپوف تحذيرا واضحا ردا على مخططات الولايات المتحدة وحلفائها الاطلسيين بنصب صواريخ «بيرشينغ» و«كروز» في الاراضي الأوروبية حيث قال «ان برامج التصعيد اللاحق للتسلح لن ترغم الاتحاد السوفياتي على تقديم تنازلات احادية الجانب ، وسنكون مضطرين للرد على تحدي الجانب الاميركي بنشر منظوماتنا المماثلة من السلاح ، فالرد على صاروخ «ام اكس» بصاروخ سوفياتي مماثل وعلى الصاروخ الممنح الاميركي البعيد المدى بصاروخ ممنح بعيد المدى تجري تجربته عندنا» . وعلى اثر طرح المشروع السلمي اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ومجلس السوفيات الاعلى نداء مشتركا الى برلمانات وحكومات واحزاب العالم تدعوان فيه الى السلام ، وتؤكدان حرص الاتحاد السوفياتي على بذل اقصى جهد مستطاع من اجل تجنب الكوكب ماسي والام الحرب النووية . واكد النداء «على استعداد الاتحاد السوفياتي لتجديد ترسانات اسلحته النووية في أوروبا باقصى سرعة ممكنة ، بغية التوصل الى اتفاق شامل على تخفيض القوات المسلحة والاسلحة في اوروبا الوسطى» . المشروع السوفياتي الجديد والنداء المشترك جاء في وقت تستمر فيه اجتماعات مؤتمر جنيف حول الحد من الاسلحة الاستراتيجية في أوروبا ، وقدر كبير من الشكوك يساور المراقبين حول انجاح المؤتمر . فالورقة الاميركية تقوم على مبدأ «القبول بكافة المقترحات التي

تضمنتها او رفضها جميعا» ، الامر الذي اثار شكوكا جدية ليس في موسكو وحدها ، وانما في بعض بلدان أوروبا الغربية على امكانية احراز تقدم جاد في مسار المفاوضات . وتتضمن الورقة الاميركية اقتراحات تنصب على الامتاع عن زرع الصواريخ الاميركية المتوسطة المدى ، اذا اقتنع السوفيات بسحب صواريخ : «اس.اس. - ٢٠» من الاراضي السوفياتية المتاخمة لحدود أوروبا الغربية ، وتقليص القوات التقليدية «غير النووية» بمعدلات متوازنة لكل من حلفي وارسو والاطلسي ، والعمل على الاعلان المسبق عن التحركات والمناورات العسكرية لكلا الجانبين بحيث يضمن عدم سوء الفهم من اجل تقليص خطر الحرب بسبب الاخطاء . الا ان مجلة «تايم» الاميركية ترى فيها تسويقا للفلة الحرب سواء اكانت ظاهرة ام مبطنة ، من شأنها ان تقضي الى الفشل . ولاشك في ذلك ، فالولايات المتحدة تسمى الى ان تتخذ من تلك الاقتراحات ذريعة لتوتير الوضع الدولي واحباط اية امكانية للتوصل الى نتائج ايجابية ، وتحاول الحصول على فوائد من جانب واحد . فمقابل صواريخ لم تنصب بعد ، تطلب سحب صواريخ منصوبة ، وهذا يعني ببساطة شديدة ، انه مقابل الامتاع عن زيادة ترسانتها ، تطلب تخفيض ترسانة الجانب الاخر ، مما يخل بالتوازن القائم اخلا واضحا . لذلك بات من الطبيعي ان تتلقف الولايات المتحدة والبلدان الأوروبية الاخرى المشروع السوفياتي الجديد ، للربح الذي دبت في مفاصلهم تجاه تأثير المشروع السلمي على الراي العام في بلدانهم من جهة ، وتعبير حي عن النزعة العدوانية التي تدفع واشنطن وبعض العواصم الأوروبية باتجاهها . فقد سارعت وزارة الخارجية الاميركية الى اصدار بيان رفضت فيه المشروع مدعية «انه غير مقبول . لانه سيتترك للسوفيات مئات من الرؤوس النووية من طراز «اس.اس. - ٢٠» ، بينما ينكدر علينا وسائل منع هذا التهديد» . واكد البيان «استعداد الولايات المتحدة للتراجع عن قرارها القاضي بنشر ٥٧٢ صاروخا من طراز «كروز» و«بيرشينغ» في الاراضي الأوروبية ، اذا قامت موسكو بالتخلص من اكثر من ٦٠٠ صاروخ من طراز «اس.اس. - ٢٠» والطراز الاقدم



صاروخ م. اكس قيد الاعداد

«اس.اس. - ٤» و«اس.اس. - ٥» . اما مدير الوكالة الاميركية لمراقبة الاسلحة يوجين روستوف فقد صرح «بان مشروع اندروپوف مخيب للامال» . ورغم ان المشروع السوفياتي يتضمن ايضا دعوة بلدان أوروبا الغربية الى تقليص وسائل الجانبين النووية متوسطة المدى من جهة ، وان يتعهد الجانبان بعدم البدء باستخدام السلاح النووي ، بل وحتى الاسلحة التقليدية من جهة اخرى ، الى جانب هذا وذاك ، اكد المشروع السوفياتي التزامه الكامل بمهمة «تنظيف» الساحة الأوروبية نهائيا من شتى انواع السلاح النووي الموجه نحو اهداف أوروبية ، وحتى اذا ما احتفظت كل من بريطانيا وفرنسا باسلحتها ، فهي تتوازن مع ما يعادلها من كميات السلاح السوفياتي ، وكتحصيل حاصل لتقليص مئات الصواريخ السوفياتية وما يقابلها من وسائل المراقبة الاميركية ، عندئذ سوف يتحقق التناوب بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة في هذه الوسائل ، ويتحقق «الخيال» الصفر» ، ذلك لان التوازن الحقيقي لا يقوم فقط بين القوتين الكيبرتين ، غلدي «لغذاء الولايات المتحدة اسلحة ترجح كفة حلف شمال الاطلسي ، الامر الذي لا بد وان يأخذ في حسبانها ادخال القوتين النوويتين لدى كل من بريطانيا وفرنسا في سجل ممتلكات الاطلسي . الا ان رئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر لم تستجج من المشروع السوفياتي الا «ان نتيجة العرض ستتمثل في ترك الولايات المتحدة بلا صواريخ نووية متوسطة المدى في أوروبا ، بينما سيظل لدى الاتحاد السوفياتي عدد كبير جدا منها» (!!) وازافت في كلمة لها امام مجلس العموم البريطاني «لا يبدو لي ان ذلك من شأنه

ان يبقى على التوازن الاساسي المطلوب لامننا» . وكان وزير الخارجية فرانسيس بيم قد عبر عن ذات الاتجاه حين تحدث عن المشروع ووصفه بانه «خطوة صغيرة من جانب السوفيات» . الا ان اول الراضين وفي سرعة ملفنة للانتباه كانت فرنسا التي قال وزير علاقاتها الخارجية كلود شيسون «ان بلاده لا يمكنها قبول اي تخفيض في ترسانتها النووية ، التي تم الاحتفاظ بها عمدا عند ادنى مستوى ممكن ، واذا ما اجرينا اي تخفيض في هذه الترسانة فلن يكون لها اية قيمة دفاعية رادعة» . وازاف يقول انه «لا يفهم جهودا الاتحاد السوفياتي الرامية الى ادراج الرادع النووي الفرنسي على بند المفاوضات الجارية حاليا في جنيف . . ذلك لان القوة النووية الفرنسية ليست تابعة لترسانة حلف شمال الاطلسي» وبلغ به الامر الى القول «ان السوفيات يكذبون منذ سنوات عدة في أوروبا اسلحة نووية مخفية في سرعتها ودقتها ، لاتستطيع الوصول الا الى أوروبا الغربية» . واعتبر ان خطط نشر الصواريخ الاميركية من طراز «كروز» و«بيرشينغ» في هذا الشطر من القارة بانه «ضروري لاعادة التوازن» . ان هذه التصريحات التي اطلقها كل من مسؤولي البلدين ، لاتضيف جديدا على الاطلاق في لجوئهما الى الاسطوانة القديمة نفسها . فالزعم القائل انه في حالة تخلي اي من البلدين عن السلاح النووي ، سيجد نفسه اعزلا امام التفوق السوفياتي في مجال الاسلحة التقليدية ، فان المشروع السوفياتي تضمن بندا صريحا يشمل القوات المسلحة التقليدية ويقدم تعهدات بعدم الاعتداء . كما ان مسارعة كل من لندن وباريس الى الاعلان عن عدم موافقتهما على ادراج وسائلهما النووية ضمن صف صواريخ المسرح الأوروبي ، يؤكد استقبال المشروع السوفياتي الجديد بالحرب . تبقى المانيا الاتحادية التي يتميز وضعها في كونها العميل الاميركي الاول في أوروبا ، وخط «الدفاع» الأوروبي رقم واحد في حلف شمال الاطلسي . وبسبب وقوعها على خط التماس مباشرة ، فانها تتمتع باهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة للاطلسي ، الا ان هذا الوضع يعرضها للضربة الانتقامية الاولى عند حدوث اية انتكاسة او صدام . ومن هنا تتبع الحساسية الألمانية ازاء اي تصاعد في

حدة التوتر ، وقد تجلى ذلك واضحا في موقف حكومة بون من مشروع اندروپوف الجديد . فرغم استقبالها الفاتر للمشروع حول الحد من عدد الصواريخ النووية في أوروبا ، لكنها لم ترفضه رفضا قاطعا ، كما فعلت عواصم أوروبية اخرى . فبعد ان صرح الناطق الرسمي الحكومي لجمهورية المانيا الاتحادية بان مشروع الزعيم السوفياتي يدو مغريا ، لكنه غير مقبول سياسيا «اذا اصر الاتحاد السوفياتي على الاحتفاظ بجانب من قوته ذات المدى الاستراتيجي الموجه ضد أوروبا ، فانه لا يمكن وصف ذلك بانه عنصر يسهم في اقامة التوازن والامن» . اعلن وزير الخارجية هانس ديترش غينشر «بان موسكو تعترف على ما يبدو بانه لا يوجد توازن بين القوى حاليا نظرا لوجود ١٢٠٠ رأس نووي سوفياتي في أوروبا ، واذا ما اعترفت موسكو بشرعية المخاوف الغربية ازاء هذه الصواريخ السوفياتية ، فانها تقدم بذلك خطوة الى الامام» . فالطاقم الحاكم يصنع لمخططات حلف الاطلسي العدوانية من جهة ، الا انه من جهة اخرى يسعى الى تزيت عجلات الحوار السوفياتي - الاميركي من اجل احراز تقدم في المفاوضات الجارية للحد من الاسلحة الاستراتيجية . على اية حال ، فقد بات من المؤكد ان ردود الفعل السلبية التي اطلقتها وزارة الخارجية الاميركية على المشروع السلمي ، نابعة اساسا من رغبة الادارة الاميركية في لجم تصاعد حدة المعارضة السلمية في اميركا ، وقطع الطريق على الحركات السلمية التي تدعو الى وقف انتاج ونشر الاسلحة النووية . فبعد التصريح الذي اعده اساقفة ومطارنة الولايات المتحدة ، دخلت المعركة التي تخوضها حركات السلم مرحلة جديدة ، وفتح ملف جديد يدعو لتجديد الترسانة النووية ، مما يؤكد على اتساع القاعدة الاجتماعية المناهضة لسياسة ريفان في توتير الوضع الدولي ودفعه الى حافة الحرب ، وما ينطوي على هذه السياسة الخطرة من اهدار للاموال على حساب الموازنة المخصصة لتطوير الخدمات الاجتماعية والبنى الاقتصادية المختلفة . ولكن هل تبقى الادارة الاميركية ماضية في غيها ، طليقة اليدين في جر العالم الى كارثة الحرب ؟ الجواب الرادع تضمنه مشروع اندروپوف نفسه .